الصهيونية ، بل وعلى الدول الاوروبية حيث رأت ان السلطان عبد الحميد الثاني لم يغير مواقفه من الاستيطان اليهودي في فلسطين ، وهذا مما يؤثر على تطلعاتها مباشرة ، وللدلالة على ذلك ما اتخذته الحكومة البريطانية من موقف معارض ومستمر للقوانين العثمانية الخاصة بالهجرة اليهودية ، فقد اوعزت الى قنصلها في القدس في نيسان (ابريل) عام ١٩٠٤ بأن الحكومة البريطانية لن تقبل قوانين الهجرة، ومن اجل ذلك لا يمكن ارغام اليهود الانجليز على مغادرة البلاد٠(٤٠) ولكن الحكومة العثمانية تمسكت بقرار منع بيع الاراضي والعقارات في فلسطين الى اليهود من جميع الجنسيات ، لان معظم اليهود الاجانب كانوا يأتون الى فلسطين بغرض شراء الاراضي والاقامة الدائمة ٠(٤١)

وتذكر بعض المصادر الصهيونية انه نتيجة للموقف العثماني الرسمي حيال المشروع الصهيوني ان عرض القنصل العام للدولة العثمانية في فينا علي نوري بك ــ وهو غير نوري بك ــ على تيودور هرتزل مشروعا غريبا لتحقيق استيطان يهودي واقامة الدولة اليهودية ، وبدونه لا يمكن ان تنال الصهيونية ما تريد في فلسطين ، وهو ان يبحر هرتزل الى البوسفور في سفينتين وينسف قصر « يلدز » ليتاح للسلطان عبد الحميد فرصة الهرب او القبض عليه ، ومن ثم تعيين سلطان آخر بدلا منه ، ولكن قبل ذلك يجب اقامة حكومة مؤقتة تعطي اليهود امتياز الاستيطان في فلسطين ٠

ورغم غرابة القصة فقد درسها هرتزل وقدر تكاليفها وفكر بعواقب فشلها ، وقد طرحت الفكرة في ٢٤ شباط (فبراير) عام ١٩٠٤ ، وقرر هرتزل اللجوء اليها اذا فشلت مساعيه الاخيرة السلمية في استانبول ، لكنه ابرق الى علي نوري بك في ١٩ نيسان (ابريل) من نفس العام معتذرا عن عدم قبول الاقتراح بسبب خشية هرتزل من قيام مذبحة هائلة يمنى بها اليهود في الدولة العثمانية اذا فشل المشروع ٠ (٤٢)

والواقع ان هرتزل ظل حتى آخر ايامه ينشط من اجل تحقيق مشروع « الدولة اليهودية » في فلسطين ، وقبل وفاته بأيام قليلة اتصل بالكونت غولوشوفسكي وزير خارجية امبراطورية النمسا ــ المجر الذي وعده بتقديم المساعدات والتوسط لدى الدولة العثمانية ــ اذا سمحت الظروف ــ بالتخلي عن بعض المناطق في فلسطين لاستيطان عدد من اليهود يتراوح بين ٥ ــ ٦ ملايين نسمة ، على ان يتبع ذلك استعمار اليهود لسنجق عكا ليكون ايضا منطقة للاستعمار والاستيطان ونقطة للتوسع صوب المناطق المتاخمة ٠

وفي ١٦ ايار (مايو) عام ١٩٠٤ فقدت الحركة الصهيونية زعيمها فطويت بوفاته صفحة نشطة من التحرك الصهيوني ٠ ويقول سوكولوف بصدد وفاته : « لقد تركنا وكان متأكدا بأننا سنسلك نفس الطريق ، ولكن عاش فينا للابد كمثل النجمة التي تضيء وتسير ويبقى ضوءها مؤثرا في الآخرين » ٠ (٤٣)